وانتظر محمد الداعوق فعلاً، انتظر حتى خلت القاعة نهائياً، ولم يعد سواه ينتظر.. وفي تلك اللحظات قالوا له:

- غير مسموح لك بالدخول.

- لماذا؟

- انك تحمل وثيقة سفر للأجئين الفلسطينيين.

وصعد محمد الداعوق ثانية إلى الطائرة نفسها التي جاء بها، ولكنه، عندما وصل إلى المطار الذي انطلق منه، قالوا له: غير مسموح لك بالدخول.

- لماذا؟

- انك تحمل وثيقة سفر للأجئين الفلسطينيين.

وتكررت المأساة من مطار عربي إلى آخر سبع وعشرون رحلة... ومحمد الداعوق يصرخ: لقد تعبت... أريد الهبوط فوق أي أرض تقبلني. لقد تعبت... ان الطيور نفسها تهبط من سمائها وترتاح.

سبع وعشرون رحلة في الفراغ، أفواج من المسافرين، بشر بألوان مختلفة، ولهجات مختلفة، تفتح لهم على مصاريعها بوابات العواصم: وذلك الطائر الفلسطيني يحلق في السماء متعباً، وعندما سمحوا له أخيراً بالهبوط، قالوا له: يجب ان تثق اثنا مع القضية.

تلك هي واحدة من آلاف القصص والحكايات التي يحفظها الفلسطينيون عن ظهر قلب، ولا يدعونها تفلت منهم، والتي تندرج كلها تحت عنوان: «يوميات حامل الوثيقة»: وهي قصص وحكايات تجسد قسوة التيه، وقسوة المنفى، وقسوة المعاناة التي يعانيها الانسان حين يفقد وطنه ويصبح مرفوضاً من الجميع.

والذين لا يفهمون ايقاع الألم والعذاب والقهر والسخط والغضب في يوميات حامل الوثيقة، لا يمكنهم أن يفهموا كل تلك البطولة، وقوة التمسُّك، وعظمة التضحية في يوميات حامل الرشاش.

نداء واحد أطلقته فتح إلى أعضاء تنظيمها بعد هزيمة الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧، وإذا بالآلاف من الشباب يتركون دراساتهم الجامعية، أو وظائفهم المريحة، أو مواقعهم الاجتماعية العالية ويأتون إلى حافة النهر في الكرامة يفترشون الأرض ويلتحفون السماء، ويقطعون المسافات البعيدة القاتلة بأقدامهم العارية...

دماء غزيرة نزفت في معركة الكرامة، ومئات من الجثث باركت الأرض، وجراح وآلام.. لكنَّ الفلسطينيين تدفقوا بالآلاف إلى عرسهم الدموي...

وكان من الصعب أن يفهم الآخرون لماذا كل هذا الاقبال على حدائق الموت.

وانهم يبتسمون، في الصور التذكارية التي يلتقطونها قبل أن يذهبوا في دوريات